عبد الحميد جودة السحار

نشأ عبد الحميد جودة السحار بالقاهرة فى أسرة تنتمى الى الطبقة الوسطى • فكان جده تاجرا ، وكذلك كان أبوه وأغلب أفراد أسرته • وقد تعلم بالمدارس ، وتخرج من كلية التجارة ، وعمل بوزارة الحربية مترجما سنة ١٩٣٦ • ويعرف السحار بمؤلفاته ذات الصبغة الاسلامية ، كما عرف بالكتابة القصصية والروائية • وأول رواية أصدرها كانت أحمس بطل الاستقلال عام ١٩٤٣ • وكانت رواية « فى قافلة الزمان » سنة ١٩٤٧ أول رواية يحاول فيها أن يقدم أسرته وبيئته والحقبة الزمنية التى كان يعيش فيها • ويبدو فى تلك الرواية وكأنه ينقل الشخصيات من الواقع كما هى ــ فى أغلب الأحيان ــ ويمتد هذا الى التفاصيل الدقيقة • سواء عن حياته أو حياة من حوله مما جعل عنصر الابداع فى الرواية محدودا ، فهو لم ينتق عددا معينا من الشخصيات يركز عليها وانما تكلم عما فى بيئته وعمن خالطهم •

فاصبحت الرواية لابطل لها ، ولا أبطال ، وتميعت الشخصيات ولم يعد القارىء يستطيع متابعة خيوطها • والحق أنها سجل طيب لكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية كما أنها سجل لكثير من المناسبات الوطنية الهامة•هى باختصار رواية حقبة ، الا أن مؤلفها لم يراع حبكته ولاشخصياته فكثرت بها الأشخاص كثرة تضربها (١) •

وقد استفاد المؤلف من سقطاته تلك فى أكثر من رواية أخرى تخضع للبناء نفسه ، كما فى الشارع الجديد ١٩٥٢ ، ورواية الحصاد ١٩٥٩ التى تعد أفضل من الروائين السابقتين حيث ركز فيها على عدد محدود من الشخصيات بالقياس الى الروايتين السابقتين •

وقد كان لنشأة المؤلف فى بيئة محافظة ، تنتمى الى الطبقة الوسطى أثرها فيما كتب ، حيث يتحكم الدافع الأخلاقى المحافظ فى البنـاء الروائى ، فيؤثر على سير الأحداث ، ومصائر الشخصيات ، بل وعلى أسلوب المؤلف فى رسمها • مما يحول بين القارىء وبين الاقتناع بها •

وسوف لا نتعرض بالدراسة النقدية التفصيلية لرواية فى قافلة الزمان

---

(١) محمد حسن عبد الله ، الواقعية فى الرواية المصرية ص

التى صدرت سنة ١٩٤٧ ، ونبدأ بروايته « الشارع الجديد » ١٩٥٢ وتصور حقبة من تاريخ مصر تمتد من أيام حكم اللورد كرومر حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ · وتصور الرواية ماحل بأسرة « يونس » على مر الزمن ، وتركز بوجه خاص على أبناء على بن يونس ، فتصور كفاح الأب والأم فى تربيتهم ، كما تصور كفاح أولئك الأبناء وسلوكهم فى الحياة · وتبرز صورة أمهم صفية ابنة الحاج كرم فى سبيل تربية أولادها تربية فاضلة مثالية،مضحية فى سبيل ذلك بكل شىء والمؤلف يعلن أنه استفاد من أخطائه فى رواية فى « قافلة الزمان » ، اذ منح شخصياته قدرا متساويا من الاهتمام ، فلم يركز على شخص واحد كما نعل عندما ركز على شخصية مصطفى فى « القافلة » ·

وقد ظل المؤلف يصور كفاح أسرة على يونس ، والعلاقات التى تربط بينها وبين أخوات يونس ، أو بين أصهاره الحاج كرم وزوجته وأبنائه · ولما كانت أسرة « على » كثيرة العدد ، وكان المؤلف حريصا على تصوير حياة كل منهم ، تضخمت الرواية تضخما شديدا وتفككت · اذ يورد كثيرا من التفاصيل التى لامبرر لها ، كما يقدم شخصيات كان باستطاعته استقاطها دون أن تضار الرواية · وبخاصة تلك الشخصيات الضعيفة الى حد غير مقبول · من أمثال « حسان » أخى على الذى كان عضوا بالحزب الوطنى ، والذى سافر فحارب الأتراك حتى يساهم فى اخراج الانجليز من مصر · وهذا أمر طبيعى ، ولكن الشىء الغريب حقا أنه يعود شخصا آخر تكوينه يتناقض بعضه مع البعض الآخر فهو يكره الأتراك لأنهم لا يريدون حرية المصريين ، وكانوا يسيئون معاملتهم أثناء الحرب ، كما أن أهوال الحرب جعلته يكره الحرب والقتال لأن فى القتال وحشية · وهو مع ذلك يتهم المصرين بالتخاذل لأنهم لا يحاربون المحتل البريطانى · ومن هنا يصبح مجرد بوق يردد أفكار المؤلف ، دون أن نقتنع بها ، فهو غارق فى السكر بعد عودته من الحرب ، وسكره ناجم عن نقمته على الواقع وعن رغبته فى أن يفر من ذكريات الحرب ، ثم هو يسجن لأنه يضبط وهو يدخن المخدرات· ولا يفيق من سكره الا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ·

وهناك أيضا سيد ابن أخت على وحسان ، وقد التحق بالعمل فى ورش السكة الحديد وتسيطر عليه رغبة واحدة هى جمع المال ، فيرفض الزواج حتى يصاب بالثراء ، ومن ثم فانه يكون بخيلا ممسكا ، ويلعب

القدر لعبته فيكسب ماسة جنيه ، ولكنه يرفض أن يضعها فى صندوق التوفير، فتسرق منه فيموت كمدا لساعته · ومثل تلك الشخصية وظيفتها الوحيدة اثارة الفكاهة لأنه كان مصابا بالتهتهة ، وهو أمر كان يكرره المؤلف كثيرا ، وبخاصة عندما أصبح « سليمان » أخوه يتهمه بأنه يرفض الزواج لأنه ليس رجلا ، فيرد عليه متلعثما بالسباب · ولكننا فى النهاية نقول انها شخصية لا نجد المبرر الحقيقى لوجودها فى الرواية ·

ومن الشخصيات التى لا نجد مبررا لوجودها كذلك بالرواية شخصية عفاف التى أعجب بها جلال بن على يونس والتى ضربت له ميعادا ثم وافى الميعاد فجاءت وقد تعلقت بذراع شاب آخر ، وكرر لقاءها وكررت اخلاف ميعادها معه ، ثم لما صح عزمها على لقائه ، وسلمت نفسها له ، كان غيظه منها قد بلغ حدا جعله يتركها وقد تهيأت للاتصال الحسى به ، وينصرف · وأن أوصافه الجسديه لها لهى أوصاف تنبىء عن الهدف الفنى الذى من أجله أوجد هذه الشخصية · ولكنها فى النهاية تبدو شخصية زائدة · وان كان قد رسم لها المصير الذى ينتظرها وهى احتراف الدعارة ·

ثم قصة سعيد و« عليه » ، فسعيد بن على يونس يذهب الى الجامعة فى القاهرة ، فيتعرف على فتاة فى شقة مواجهة للعمارة التى يسكنها ، وتلتقى به الفتاة على سطوح بيتها ، ولا تتوقف علاقتهما عند هذا الحد بل ان الفتاة تدعوه الى منزلها فى غيبة أهلها ، فيضبط معها ومع أن لقاءهما كما يقول المؤلف كان بريئا ، فان الفتاة تنال عقابا قاسيا فتمرض وتشرف على الوفاة ، فيرق قلب الشاب لها ، ويقرر خطبتها ، ولكن أمه تبصره بحالهم وضيق مواردهم فينصرف عنها ، ويعتبرها مسئولة عما حدث كمسئوليته تماما ·

وعلاقة خالد وسهام أخت صديقه ، علاقة طبيعيه يمكن أن تقع ولكن المؤلف حرصا منه على الفضيلة يجعل سهام التى تحبه فيتركها ويتزوج درية ابنة خاله التى أحبها منذ فترة طويلة ولا يعرف أن سهام تحبه الا بعد أن تتزوج بعد أن رفضت الزواج لفترة طويلة ثم وافقت فى النهاية ، ولكنها بعد أن كشفت له عن كل شىء وواعدته والتقت به تفر منه الى شارع جانبى بحجة أنها تريد أن تذهب الى صديقة لها حتى تتذرع بتلك الحجة لتفر منه ، وترسل اليه بخطاب تطلب اليه أن يجتنبها الانحدار الخلقى اذا كان يحبها حقا ·

ثم هناك « حليمه » التى تبيع الحلوى الرخيصة للأطفال والتى تجلس أمام باب « يونس » لاتبرحه ، وهى تجمع بين شيئين لا يجتمعان وينتهيان على خير وهما الفقر والجمال وتلك الحسناء تكاد تكون معلما من معالم الزمن، لاتترك حرفتها رغم قسوة الحياة ، بل ولا تخلو من طيبه ولا تثور فى نفسها مشاعر الجنس الامرة واحدة يشير اليها الكاتب وهى تصغى لثرثرة النجرو المجنون فيقول : « ٠٠ يكاد قلبها يدمى أسى ، فحديثه يحرك أشجانا وينفخ فى جمرة الحرمان المتوقدة بين جوانبها ، فتلسع روحها ، انه يذكرها بهول المناظر والمشاعر التى تجتاحها كلما رأت فى الخربة كلبا وكلبة (٢) ٠ فهو يتوقف عندها أكثر من اثنى عشرة مرة ، ولكنها لا تزيد على كونها جزءا من بيئة أولاد على يونس ، أو معلما من معالم الزمن وتتضح هذه النظرة من قول المؤلف فى آخر الرواية ، مصورا حليمة من خلال رؤية حسان لها : « ٠٠ رنا الى حليمة ، وقد صارت حطاما ، وهى جالسة فى ذلة أمام قفصها ، رفيق عمرها الذى تقضى هباء ، فما كان لها هم فى الحياة الا أن تجد طعامها ، كان الخبز غايتها ، فتتلوى من الألم والحرمان ، كانت كل دنياها ، باب الدار وقفص الجريد وبعض الصبية الذين يعدون اليهـا يشـترون بعض الحلوى ٠ ثم الخبز الجاف وبصلة أو حزمة من الفجل ، أهذه حياة ؟ ! » (٣)٠ والوقع أن مثل تلك الشخصية لا يمكن أن توجد أو تعيش فى أى مكان هكذا ، فليس بالخبز وحدة يحيا الانسان ٠

ولا يختلف عن تلك الشخصية وان كان رجلا ، النجرو الذى بدأ وطنيا يقتل جنود الاحتلال الذين وفدوا الى الاسكندرية فى أثناء الحرب العالمية الثانية ثم أصيب بالجنون فجأة وبلا تمهيد ، فأخذ يعلن أنه يحب فتاة انجليزية تدعى جورج ، وعرف الحى عنه هذا وتقبلوا جنونه ، ويظل المؤلف يوظفه للدلاله على الزمن بل يصبح هو وحليمة من معالم الحى الذى تعيش فيه أسرة على يونس ٠ ومع ذلك فما أكثر الاقوال التى يجريها على لسانه بلغه فصيحة غاية الفصاحة ولا يمكن أن تصدر عن مجنون : يقول على سبيل المثال مخاطبا حبيبته الانجليزية « ٠٠ أعرضت عنى لأننى فتحت لك قلبى ، أنسيت ياجورج تلك الليلة التى داعب فيها شعرك الأصفر وجهى ؟

---

(٢) الشارع الجديد ص ١٥٩

(٣) المرجع السابق ص ٥٤٩

اذا كنت ياجورج قد محوت ذكراها من رأسك ، فلن أنسى ما حييت نظراتك الحارة المنبثقة من عينيك الزرقاوين ، لقد أثرت تلة الليلة فى قلبى ، حتى الموت لن يستطيع أن يمحو مشاهدها من نفسى » (٤) ٠

ويصاب بتدهور مماثل لتدهور النجرو حسان بن يونس بعد عودته من الحرب فيصبح سكيرا مدمنا ، ولكنه خبير ببواطن الأمور عالم بما يخفى على غيره وبخاصة من أمور السياسة والطبيعة البشرية وهكذا يصبح حكيما ، يفلسف السبب الذى جعله يعزف عن الزواج فيقول : « ٠٠ ولكن لماذا يفكر فى هذا وما كان ليسمح لنفسه أن يرتكب هذه الحماقة أبدا ، يكفيه ما يقاسى فى هذه الدنيا من شقاء ٠ يكفيه ما هو فيه من هوان ، لو أن له حصنة فى هذه الحياة ، لكانت زهده فى انجاب أولاد مهما سعدوا فى الدنيا فهم أشقياء ، ماذا للانسان على الأرض ؟ نصب وكفاح وصراع ، ثم يتخطفه الموت » (٥) ٠ هو بوق للمؤلف وبخاصة عندما يتحدث عن السياسة فيتحدث عن الظلم الذى يحيق بالفقراء فى المجتمع : فيقول : « الظلم فيها (أى الدنيا) عام ، بهاء يأكل فلاحيه ، ويستبد بهم ، فيكافأ على استبداده وظلمه ويصبح بهاء باشا ، وسيد المسكين يحلم بالمال ، فاذا ما تحقق حلمه ونال مئتى جنيه لم يترك ليهنأ ، بل سرق منه ما كسب ، فيالسخرية ، أعطى ما يشتهى أياما ، ثم سلب منه ، وسلبت معه حياته » (٦) ٠

وهو يتحدث عن الحرب حديثا ينفرها الى الناس وفى الوقت ذاته يطالب قومه بمحاربة المحتل وهما هدفان لايلتقيان أبدا ٠ يقول المؤلف عن حسان : « ٠٠ وتململ حسان وأحس وخزا يخز روحه ، ما بال هؤلاء الناس يتحدثون عن الحرب هكذا ، كأنما يتحدثون عن ملهاة ، أو قصة قرءوها فى كتاب ! ما بالهم قد قست قلوبهم ، فراحوا يتحدثون عن الضحايا والقتلى ؟ لم تند عن فم أحدهم كلمة استنكار لهذه الحرب الضروس ، أو حتى كلمة تفيض بالرحمة ، أيدرى هؤلاء اللاهون ما الحرب ؟ لو كانوا يعرفون كيف

---

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٩

(٥) المرجع نفسه ص ٢٦١

(٦) المرجع نفسه ص ٣٦١ وانظر حديثه عن الزواج والحرب ص ١٤٥

يعيش هؤلاء الذين يتلهون بقصصهم فى الخنادق كالفئران ، فى البرد الزمهرير، وفى الحر اللافح الذى يكاد يزهق الأرواح ، ينتظرون أن يتخطفهم الموت فى كل لحظة ، لا نفجرت عيونهم بالدمع السخين » (٧) ٠

ثم هو فى الوقت نفسه يؤيد كفاح الفدائيين ضد الانجليز فى سنة ١٩٥١ ، ويتمنى لو كان يستطيع المشاركة فيه ، مما يجعلنا نتصور أن حسان كان بوقا للتعبير عن بعض الأفكار التى رأى المؤلف أن يعبر عنها كالحديث عن السلام والتنفير من الحرب ، والحديث عن الأوضاع السياسية فى مصر بالرغم من أنه بامكانياته التى عرفناه بها لا يصلح لأداء ذلك الدور، الذى يحتاج الى شخصية من طراز أكثر قوة ، وتماسكا ٠

وتكون علاقة الدكتور سعيد بروحية طالبة المدرسة السنية علاقة رومانسية خالصة ، فهو يطاردها أعواما دون أن يحادثها ، ودون أن تتنبه اليه أو تراه ، ثم يرسل اليها رسالة ترفض أن تتسلمها ومع ذلك يستمر فى متابعتها فى ذهابها الى مدرستها وعودتها منها ثم تسوق له الصدفة أختها سناء التى تعمل طبيبة فى القصر العينى ، وتكون قريبة الشبه بها فيدرك أنها أختها ويسألها عنها ، وينجح أن يتعرف على روحية عن طريقها ، ثم يخطبها ويتزوجها بعد أن تنتهى من دراستها وتعمل مدرسة ٠ والعلاقة بينهما ـ قبل الزواج علاقة روحية لا تشوبها شائبة مادية مهما كانت ضئيلة الشأن ٠ وتصور تلك الفتاة مفهوم المرأة العصرية فى ذهن المؤلف فينبغى أن تكون خجولة بعيدة عما يعرف عن غيرها من سلوك يتسم بالطيش أو الرعونة، بل يجب أن تكون حصانا رزانا ، وهكذا كانت روحية ، ثم هى تعين أسرتها وتقف الى جوار زوجها بصورة مثالية ، وتدفعه الى الكفاح والنجاح وتسرى عنه فى وقت الشدة والاخفاق ٠ ومن ثم تخفق الطبيبة فى الزواج من الدكتور سعيد الذى أحبته فى حين تنجح « روحية » فى الزواج منه لأنها لم تبدأه بالغزل أو تتصدى له ٠ ولذا تحفق كل فتاة بالرواية تشعر شابا بأنها تحبه فجلال لا يتزوج « بعلية » لأنها استجابت لغزله ، وتدفع ثمن ذلك من سمعتها وكرامتها وصحتها ٠ ولا يتزوج خالد من « سهام » لأنها أحبته ، كما يفر يحيى من الفتاة التى رآها فى احدى الشرفات ، وغازلها فاستجابت

---

(٧) المرجع نفسه ص ٣٨٩

لغزله : « ٠٠ فقد راحت الفتاة ٠٠٠٠٠٠ تطالبه بأشياء لم تخطر له على بال يوم فكر فى مغازلتها ، راحت تغريه أن يفرا معا ، وأن يتزوجا بعيدا عن أهليهما ، وأن يعمل ليبنى عشهما الجميل ، فحرام أن يضيع شبابه فى مقاعد الدرس ، فالواجب على من كان مثله أن يشق طريقه فى الحياة بساعده، وأن يكون له بيت ٠

انه لا يميل الى مثل هذه الفتاة التى تريد أن تتعلق بعنق أول من يغازلها » (٨) ٠ ويتضح موقفه هذا من المرأة العصرية التى يشك فيها من أنه يرفض أن يتزوج من طالبة الليسية الجميلة لأنها كانت صريحة فى عواطفها معه ٠ ولأنها تقبل على متع الحياة المشروعة بجرأة طبيعية ٠ فقد أخبرته أن سوف تذهب للاصطياف فى سيدى بشر ، فذهب الى هناك حيث وجدها تسبح فى البحر فى سعادة ٠ ويصورها عندئذ بقوله : « ٠٠ وقعت عيناى على صدرها العارى ٠ ان ثدييها يكادان أن يفرا من عقالهما ٠ فاذا بالابتسامة التى كادت أن تولد تموت على شفتى ٠ واذا احساس غريب يتملكنى ٠ أهى الغيرة ؟ ربما فالغيرة دليل الحب ٠

وخرجت من الماء وتناولت منشفة راحت تجفف بها جسمها ٠ كان ساقاها متسقتين ، وكانت أردافها ممتلئة ٠ واذا بسؤال يثور فى نفسى ٠ ماذا بقى لى لأراه مما لم يره الناس ؟ واذا بعقلى يحاول أن يخفف عنى مرارة السؤال ، ان الانسان بين جوانحى الذى حاول أن يتحضر وأن يجارى العصر الذى يعيش فيه أراد أن يقبل ذلك الواقع ٠ ولكن نشأتى وبيئتى بكل تقاليدها تمردت على واذا بى أصبح فريسة لصراع مرير » (٩) ٠ ثم يتزوج من ابنة عمه التى ربيت فى بيئته المحافظة خوفا من الزواج بفتاة الليسيه(١٠)٠

ولو تساءلنا عن السبب الذى من أجله أحب خالد درية ابنة خاله نجده يتمثل فى خجلها وحيائها ، فهى لا تظهر له أية بادرة تدل على حبها ، بل ولا تحدثه عن ذلك حتى بعد أن خطبها ٠ ولذا لابد أن تنتهى تلك العلاقة المحتشمة بينهما بالزواج فى رأى الكاتب ٠ ونلتقى بصورتين جسديتين

---

(٨) المرجع نفسه ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ٠

(٩) هذه حياتى ص ٣٩٦ ٠

(١٠) المرجع نفسه ص ٣٩٧

لسهام التى أحبت خالد دون أن يفطن الى ذلك ، الأولى قبل أن تتزوج ، وهى صورة عادية لاغبار عليها ، والثانية صورتها بعد أن تزوجت والتقت بخالد الذى كان قد تزوج بدرية ، وتكون صورة جسدية مثيرة للغرائز ، وهى باختصار صورة يلصقها المؤلف بكل فتاة لا تراعى الحشمة والأدب أو ترتكب الفحشاء كالراقصة فتحية مثلا • وكعفاف التى تحدثنا عنها من قبل • ومن هنا تكون صورة روحية الجسدية غير موجودة بالرواية بصورة تفصيلية أو تكشف عن المفاتن الجسدية • لأن البطل يحبها روحا لا جسدا يقول : « ••ولمحها فى ثوبها الأسود البسيط ، تدرج فى الطريق ، فراحت مشاعر النشوة تتفجر فوارة بين ضلوعه ، ولفه اضطراب لذيذ ، فراح يتبعها على البعد كالتابع الأمين ، يسير كالمسحور ، يحس ما يحسه الغارق فى حلم بهيج •

لم يفكر فى أن يقترب منها ، ولم يخطر له أن يجذب بصرها اليه ، ولم توسوس له نفسه ، أن يتفرس فى وجهها ، وأن يحصى محاسن جسدها. كان راضيا كل الرضا أن يحس وجودها ، وانه ليرضيه أن ينقضى الزمن ، وهو يرنو اليها من بعيد » (١١) • ومن ثم تكون صورتها الجسديه موجزه وخالية مما يثير أو يغرى من مفاتن المراة يقول عنها : « وسارت فى ثوبها الأسود ، تحمل فى رشاقة حقيبة كتبها ، رقيقة كالنسيم ، متفتحة كورد الربيع ، شامخة الرأس ، تنطلق فى طريقها لا تتلفت كما تتلفت قريناتها . فسار فى آثارها خافق القلب » (١٢) •

وتغلب النمطية على شخصيات تلك الرواية ويمكن أن تمثل الشخصية سمة واحدة تسيطر على ماعداها • فالحاج كرم والد صفية زوجة على تتمثل فيه سمة رئيسية غالبة هى البخل وهو بخل يتجاوز نطاق المعقول برغم ثرائه ، وابناؤة تغلب عليهم سمة واحدة هى حب المال ، فالمال هو أهم سمات الناس وبه يكون الناس فى عرفهم ذوى أهمية وبدونه يصبحون لا شىء •

أما على يونس ، فتغلب عليه سمة واحدة أساسية يصرح بها المؤلف وهى الفروسية ، وهى فروسية تكلفة الكثير ، فهو يخف لنجدة أصهاره

---

(١١) المرجع نفسه ص ٣٤٢

(١٢) نفسه ص ٣٨٢

كلما وقعوا فى شدة برغم قسوتهم عليه ، وتقاعسهم عن مساعدته فى وقت الشدة ، فهم يرفضون المساهمة فى دفع مصاريف ابنه ليدخل الكلية الحربية، كما تمتنع عن ذلك خالة الشاب اجلال التى وصل زوجها الى مرتبة الباشوية واتسع ثراؤه • بل ان اخواله رفضوا اقامة ابناء اختهم فى دار قديمة لهم فى تحت الربع برغم تنازل زوجته صفية عن نصيبها فى ميراثها من دكان أبيها ، وتعريض نفسها للمساءلة الجنائية عندما وقعت باسم اختها اجلال ليتمكنوا من رهن الدكان وفاء لديونهم • وبعد كل ذلك يتخلف على عن مساعدة أصهاره فى حين يسومونه الهوان عندما يضطر الى العمل عندهم •

كما أن أخوات على أنماط تمثل احداهن حب القيل والقال ، والأخرى تمثل النفاق ، وثالثة يملأ الحسد قلبها ، وهلم جرا •

غير أننا نلاحظ أن المؤلف يجرد أولئك النسوة من مشاعر طبيعية كانوا جديرين بها عند وفاة أبيهن • فالمؤلف يصورهن وقد أنصب اهتمامهن على تجريد أبيهن من خاتمه ومن ساعته ، ونقوده ثم ملابسه التى كان يرتديها والمحفوظه بصيوان ملابسه ثم يتظاهرن بعد ذلك بالحزن عليه ، كما أن أزواج بناته ، الذين كان يطلق عليهم الثيران يحضرون الجنازة وقد أرتدين ملابسه • وهو أمر غريب وغير معقول من واقع الرواية نفسها لا بمقياس آخر من خارجها • فالأب كان يؤوى بناته وأزواجهن فى بيته ، ولا يتردد فى مساعدة أزواجهن ، كما أن البنات كن يتحذن من بيت أبيهن محل بقال يحصلن منه على ما يردن من طعام ينقصهن كالزيت وغيره • ولذا فقد كن جديرات بحزنهن الصادق • وبخاصة وأنه كما قلنا كان رجلا طيبا وأبابارا •

ولكن الكاتب وقد وصمهن ببعض السمات كالنفاق ، والحسد والغيرة ، أراد أن يجردهن من مشاعرهن الآدمية الطبيعة فى مثل تلك المواقف • وقد كان يمكن أن يؤجل الميراث الى ما بعد تشييع جنازة الرجل •

ويمكن أن نجد معظم شخصياته تتسم كما قلنا بسمة واحدة غالبة فصفية زوجة على يغلب عليها انكار الذات بالاضافة الى سمات أخرى كالحياء والمعاملة الحسنة لبنيها ، ولكنها أحيانا لا تتصرف التصرف الطبيعى فى كثير من المواقف ، وتسلك سلوكا غريبا • فأخوها يشكولها أن أولادها يدعون زملاءهم الى منزلهم فى تحت الربع بالقاهرة ، ويطلب اليها فى عبارات

عنيفة أن تمنعهم من ذلك ، فلا تحاول أن تزجره وهى صاحبة فضل عليه وعلى اخوته • ويرفضون اقراضها ، فلا تظهر حتى مجرد الاستياء •

وهى فى الواقع تصور الأم المثالية والزوجة المثالية من وجهة نظر المؤلف ، وهذه المثالية تمتد لتشمل رعايتها لأخى زوجها السكير حسان الذى تحرم نفسها من الطعام لترسل له طعامه • وهى أيضا تحرم نفسها من الطعام لتقدمه لأبنائها وهو شىء طبيعى ، ولكن الأمر يصبح غير طبيعى اذا امتد الى غير ابنائها ولما كانت تخضع لمفهوم أخلاقى ينطلق منه المؤلف فانها عندما تريد أن تجهض نفسها حتى لا ترزق بطفل جديد لا ينزل الطفل وانما ينشبث بمكانه برغم ما بذلته الأم للتخلص منه ويعلق المؤلف على ذلك بقوله مصورا مفهومة الذى تتحدث عنه : « •• وجلست تنتظر لحظة الخلاص مما فى بظنها • ولكن الجنين أبى أن ينزل قبل أوانه ، كان له فى الملهاة الخالدة دور يلعبه على مسرح الحياة ، وكان القدر يضمر له آمالا وآلاما ، فما كانت هناك قوة قادرة على أن تحذف شخصية من الشخصيات التى رسمها المبدع الخلاق •

لم تكن حوادث المستقبل تكتمل ، لو أن ذلك الجنين أجهض ، وما كانت الصورة التى لم ينشرها الزمن بعد تتضح ، لو اختصرت حياة ذلك الذى لم يشهد النور ، كان الغيب يعرف عنه كل شىء ، حتى الاسم الذى سيطلق عليه ، فقد ادرج اسم « سعيد » ضمن أسماء ممثلى الملهاة •

واتجانب موجة اليأس التى غمرتها ، ففكرت فيما أقدمت عليه . فانداحت فى جوفها رهبة ، أقدمت على عمل يغضب الله ، وهى التى تخشى غضبه ، فارتجفت وزاد فى خوفها ذلك السكون المسيطر فى الليل البهيم ، وذلك النجم البادى فى رقعة السماء من شباك غرفتها • كانت تحس أنه يرنو اليها فى عتاب •

واستولى الندم على مشاعرها ، رأت أنها لا تملك الا أن تستغفر الله مما أقدمت عليه ، فرفعت رأسها ، وتطلعت من خلل النافذة الى السماء فى رجاء ، ثم غمغمت فى حرارة وصدق •

ـ سامحنى يارب » (١٣) •

---

(١٣) المرجع نفسه ص ٧٧ ، ٧٨

ويخط ذلك المبدأ الأخلاقى مصير الدكتور سعيد الذى كان يؤمن أن الانسان يستطيع أن يخط مصيره ومستقبله بيده ، دون أن ينكر قدرة الله ويده العليا • وهو يردد هذه العبارة كثيرا فى الرواية ، ويستطيع بجهده أن يصبح طبيبا ، بل ويسافر الى انجلترا لاستكمال دراسته ، وينجح فى ذلك • ولكن المؤلف ما كان ليتركة دون عقاب على جرأته فى حق الله تعالى • ومن ثم يرزق قبل سفره الى بريطانيا بطفلة ناقصة القلب تموت دون أن يستطيع وهو الطبيب الماهر أن ينقذها • كما تمرض زوجته مرضا شديدا يضطره الى اصطحابها الى الدكتور مورو ليجرى لها جراحة فى المعدة ، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تموت مريضة وهو يدرس فى انجلترا • كما أنه يرسب فى دراسته العليا مرتين ، رغم اجتهاده • كل ذلك لكى يقول المؤلف ان يد الله هى العليا وأن الانسان لايخط مصيره مهما حاول أن يبذل من الجهود • وان كان الدكتور سعيد يمثل الشاب التقى الذى يؤدى واجبه بشرف يعرضه للعقاب أحيانا ، بعد أن أصبح طبيبا ، فهو مثل أعلى للشاب الجاد عند المؤلف وقسوته عليه لا تعنى الارده الى طريق الصواب • ويفسر لنا الدكتور محمد حسن عبد الله دوافع المؤلف فى هذا الخصوص بأن الكاتب : « •• ينتصر للتقدم وان كان فى أعماقة يخشاه ، ربما بدوافع من هذه الأخلاقية » التى تنظر الى كل جديد بدهشة ولا ترى منه الا مخالفته للماضى الزاهر » (١٤) •

وتسيطر على يحيى نظرته المادية الى المراة وانشغاله باشباع شهواته منها • فهو : « •• لاهم له الا متابعة النساء بنظره ، هذه جميلة ، وهذه دقيقة الخصر ، ملفوفة الساقين ، ولو شمخ صدرها قليلا لكانت أروع ، وهذه سمراء ، مفلفلة الشعر ، وهو لا يحب السمراوات الغارقات فى السمرة ، وهذه كما وصفها الأعرابى تقبل بأربع وتدبر بثمان ، وهو لايدرى ماذا يقصد الرجل بالأربع ولا بالثمانية ، وكل ما يدريه أنه يريد أن يقول انها امراة فخمة ، مكتنزة اللحم و الشحم ، وهو يميل فى أعماقه الى السمنة ، وان أنكر ذلك خشية أن يقال عنه انه فى ذوقة كالعمد » (١٥) •

---

(١٤) محمد حسن عبد الله ، الواقعية فى الرواية العربية ص ٣٢٢

(١٥) المرجع نفسه ص ٣١٨

ويؤكد المؤلف على ماديته فى أكثر من مكان بالرواية (١٦) ثم علاقته بفتحية الراقصة التى أصبحت عشيقة للملك بعد ذلك ، بل ان فتحية تكون مثله تماما تطلب المتعة وتسقط وصورتها الجسدية تكشف عن الوظيفة التى يراد لها أن تؤديها وهى الرقص : « ٠٠ كانت منسجمة الأعضاء ، ذات عينين واسعتين سوداوين كعيون المها ، ووجهها ينطق ببراءة ، كان أقرب الى وجوه الأطفال ، وثغرها يفتر دائما عن لؤلؤ منظوم ، وكان كل رأس مالها خصرا دقيقا ، وصدرا ممتلئا ، وساقين كأنما خرطتا من مرمر ٠

وتقدمت الى المسرح ، وراحت وهى فى ثوبها تهز أكتافها وأردافها ، وترفع صدرها وتميل برأسها ، فيتهدل شعرها الأسود السبط فيزيدها روعة وجمالا ، وانحسر الثوب عن ساقيها ، فطغت فتنتها ، كانت فى هذه اللحظة أفتن من لحظاتها العارية ، التى نبدو فيها تحت الأضواء البراقة » (١٧) ٠

كما يخضع اخوه جلال لسمة واحدة هى حب الظهور ولفت الانظار ، وهو يلتفت الى « عفاف » لأنها أبدت اهتماما به ، وجالسته ، وضربت للقائه موعدا ٠ بل انه يدخل الكلية الحربية حتى يلفت الناس اليه بوظيفته الجديدة ٠ وصيامه أيضا لابد أن يعرفه الناس جميعا والا فما فائدة الصيام٠ واذا نجح يريد يكتب اسمه فى الصحيفة مصحوبا بالتهنئة بالنجاح أو على الأقل يقرؤه الناس ٠ ولما وجد أن شهاده الحقوق لا تلفت اليه الأنظار قرر كما قلنا أن يدخل الكليه الحربية لينطفر بذلك ٠ وهو يتخرج من الكلية الحربية ، ثم يصبح وكيلا للنيابة بفضل جهد أخيه زكريا ، ولكنه يتغير بعد ذلك وينسى حديث الناس عنه أو اهتمامهم به ويصبح همه كله أن يؤدى عمله باخلاص وأمانة (١٨) ٠ وهكذا نلاحظ أن الشخصيات فى الرواية غير بعيدة الغور بل هى فى الغالب شخصيات مسطحة وقد أكثر منها المؤلف لتصوير الحقبة الزمنية ، ويشعر المرء بغير قليل من الملل لازدحام الرواية بالشخصيات ولكثرة التفاصيل فى وصف الأماكن والأحداث الجانبية الكثيرة ، وتتبع مصائر الشخصيات وكأن المؤلف موكل بذلك ٠

---

(١٦) المرجع نفسه ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

(١٧) المرجع نفسه ٩٠

(١٨) المرجع نفسه ص ٥١٢ ، ٥١٣

وهذا يدفعنا الى الحديث عن حبكة الرواية وهى حبكة لم تتحقق بصورة مرضية لأن المؤلف كان مضطرا الى متابعة مصائر كثير من الشخصيات متابعة مستفيضة بحيث تصلح كل قصة منها أن تكون قصة مستقلة وهو ما يشتت ذهن القارىء وبخاصة وأن أولاد على كانوا عددا كبيرا ولكل منهم قصة ، وكفاح ، وطبيعة خاصة ٠

كما أن هناك أحداثا غريبة كمعارك الصعايدة والفلاحين،وهى معارك تنشب عند حدوث أى فرح من أفراح الفلاحين فى الاسكندرية ، حيث كان يطلب الصعايدة عند مروح « الزفة » أن يحيى عازف المزمار الصعايده ، ويرفض الفلاحون وتدور المعركة ثم ينسحب الفلاحون الى حيهم فيتبعهم الصعايدة ممثلين بنصرهم فيقذفهم الفلاحون بالحجارة والزجاجات التى ملئت رملا ، فيفروا مهزومين مجروحين ٠

وتتكرر المعركة ويفهم الناس ما يجرى بعد انسحاب الفلاحين الا الصعايدة فانهم لم يكونوا يستفيدون من تجاربهم الماضية فينالهم ما نالهم فى كل مرة ٠ وفى أثناء الأحداث الوطنية أو القومية ، السارة أو العصيبة كان الفرح يمر بسلام ويشارك فيه الصعايدة دون عراك ٠ وقد قال المؤلف انه فعل ذلك بهدف الرمز ، واعترف أنه فشل فى تحقيق ذلك الرمز لأن القارىء لم يلتفت اليه ٠ والأماكن فى الرواية كثيرة ، لأن الأشخاص كانوا يتحركون فيها ، فالمؤلف يصف شاطىء البحر أكثر من مرة ، ويصف غيره من الأماكن غير أن الحارة بقذارتها والخربة والنجرو ، وحليمة معالم ثابتة من معالم الحارة التى يقع فيها البيت الكبير بيت يونس وأولاده من بعده والذين كان يحلم يونس أن شارعا كبيرا سيشق به ، ولكن هذا الشارع لا يشق أبدا وهو حلم يراود كثيرا من أبناء يونس ولكن هذا الشارع لايبدأ فى شقه الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو مما يدل أن هذا الشارع يمثلا رمزا(١٩) فى ذهن المؤلف ، فهو يمثل حلما تحلم به الحارة الفقيرة ٠

ولغة الرواية تحتاج الى وقفه فهى لغه تميل الى البيان عند تصوير مشاعر الشخصيات ، أو بعبارة أخرى تميل الى الأسلوب المصنوع عند تصوير

---

(١١٩) محمد حسن عبد الله ، المواقعية فى الرواية العربية ص ٣١٩

أحزانهم أو أفراحهم • وأحيانا تستند على التراث فهو مثلا عندما يصور حزن الدكتور سعيد لوفاة أبيه : «•• وجاء سعيد يهرول ، وأخذ بيد أبيه يقول: وراح يجس نبضه ، فاربد وجهه ، وانقبض قلبه ، ومد يده الى الغطاء وسحبه حتى غطى به وجه أبيه المسجى فى فراشة،فولولت النسوة ، وانسحب سعيد من الغرفة مطرقا ، يحس فى جوفه وقدة نار ، ولكن لم تطفر من مقلتيه عبرة ، فقد كان عصى الدمع » (٢٠) • وهو حـريص على أن يقول يفحص عن كذا ، ولا يرد الفعل الا بعده عن ، ولكنه ينسى فيقول يفحص حسان • وعندما يريد أن يقول الكمسارى يسميه التذكرى وفى الصفحة الواحدة يقول الينسون وبعدها بسطور يقول الأنيسون ويتضح ذلك التأثر بالتراث من قوله على سبيل المثال عن حسان : « •• انه لا يغفر لأبيه زلته ، جاء به الى هذه الدنيا فى لحظة من لحظات الرغبة ، ان النشوة التى انتشاها يونس للحظات قصار من أربعين سنة ، لا تقاس بما قاساه حسان من عذاب كل هذه السنين الطوال » (٢١) • فهى مأخوذه من قول أبى العلاء المعرى •

ان حزنا فى ساعة الموت • اضعاف سرور فى ساعة الميلاد والرواية تتأثر بشكل ظاهر بالروح الوطنية التى غذتها ثورة ٢٣ يوليو ومن ثم يتحدث المؤلف عن الاستعمار ومفاسده واحتكاره كما يتحدث عن الفساد السياسى • وبعض صور الفاقه والحرمان عندما يتحدث عن الصعايدة والفلاحين وهم يذهبون للبحث عن رزقهم يوما بيوم • كما يتحدث عن مظاهر الفقر والقذارة، وبخاصة وهو يتحدث عن الحارة التى يقع بها بيت يونس وأولاده من بعـده •

ويفيض فى تصوير الأماكن ، ويذكر كثيرا من التفاصيل ، لأنه يريد أن يقدم كل شىء عن شخصياته • ولما كان تصوره لحبكة هذا النوع من الرواية هو أنها حبكة مخلخلة غير محكمة ، فقد أصاب قارئه بالملل لكثرة الشخصيات والتفاصيل ، دون أن يفطن الى أن وحدة الرواية لم تحقق بصورة مرضية •

وكما لاحظنا فى الرواية السابقة ظهور النزعة الأخلاقية المحافظة تظهر

---

(٢٠) المرجع نفسه ص ٤٩٥

(٢١) المرجع نفسه ص ٢٢٠

تلك النزعة فى رواية « النقاب » مايو ١٩٥٠ . وقد أخرناها عن ترتيبها التاريخى لاختلافها عن الروايتين السابقتين فى البناء . وتصور الصراع بين فتانين من أجل شاب تحبانه ، وهاتان الفتاتان هما « عليه » ابنة عمه . وهدى التى أحبها وتزوجها . وكان الشاب لايحب ابنة عمه « علية » ، « .. ويستشعر ضآلة شخصيته أمام أبنة عمة « علية » ، لأنها كانت أكثر منه مالا وثقافة » (٢٢) . فينصرف عنها رغم تقربها اليه وحبها له الى هدى التى يلتقى بها مصادفة فى منزل خالته . اذ يلفته اليها ما تتحلى به من خفر واستكانة وتضاؤل فى حضرته ، فيميل اليهـا ويتعلق بهـا . ويمكن القول انها تمثل صورة تناقض صورة ابنة عمة ، ومن ثم يخطبها ويتزوجها غير عابىء بمحاولات أبيه المتكررة للحيلولة بينه وبين اتمام ذلك الزواج . ويعيشان فى سعادة لا تدوم طويلا ، اذ يظهر فى أفق حياتهما شاب كانت الزوجة تحبه قبل الزواج ويعمل ضابطا « فى فرقة الأنوار الكاشفة بوادى القمر » . ويدعى جمال . ويصادق الزوج محاولا استغلال تلك الصداقة فى احياء علاقته القديمة بالزوجة ولكنها تصده ، فلا يزيده صدها الا تماديا ، ويعجز ـ برغم توطد الصداقة بينه وبين الزوج ـ أن يؤثر على مشاعر الزوجة التى تربطها بزوجهـا مشـاعر المحبة والوفاء . ولكن « علية » ، و« اجلال » ابنة خالتها تعملان على تقويض حياتها الأسرية اذ ترسلان الى زوجها خطابات تكشف عن علاقتها السابقة بصديقه « جمال » ، ويخبرانه أنهما كان يتنزهان فى قارب شراعى فى النيل ، ويذهبان الى الملاهى الليلة ، ويرسلان اليه صورة فتوغرافيه لهما معا . مما يجعله ، ينفصل عن زوجته . ولكنه . رغم احساسه بأنه يحب « علية » ابنة عمه ، ينصرف من فيللا عمه بعد أن دخلها ، وهو ما يوحى بعد رغبته فى الزواج منها .

وتخضع أحداث الرواية لفكرة سابقه لدى مؤلفها ، وهى ادانته لكل زواج يتم بغير ترو وتبصر ، وبحث فى ماضى الزوجة،والمام صحيح ببيئتها . ولابد مع كل ذلك أن يبارك الوالدان هذا الزواج ، والا كان زواجا فاشلا لا محالة . ويتأثر البناء الروائى كله بهذه الفكرة .

وتخضع « هدى » لفكرة سابقة عند المؤلف كذلك يقول : « .. استلهمت

---

(٢٢) عبد الحميد جوده السحار ، القصة من خلال تجاربى الذاتية ص ٨٤

شخصية هدى فى النقاب من أكثر من فتاة أعرفها تتظاهر بالخجل والحياء ، ثم صورت كيف أنها أسرت « حسين » بذلك الخفر ، وقد هيأت حسين للسقوط فى شراك هدى ، فقد كان يستشعر ضآلة شخصيته أمام ابنة عمه « علية » ، لأنها كانت أكثر منه مالا وثقافة » (١) ٠

وبرغم أن العلاقة بين الفتاة والشاب فى مثل تلك السن علاقة طبيعية ومشروعة ، فان المؤلف يسميها شركا ، ويدينها ، بغير مبرر معقول ، وبهذا يسىء الى شخصية « هدى » الناجحة الحية ، عندما يكشف عن ماضيها ، ويضع جمال افندى فى طريق سعادتها ، ويوقفها موقفا سلبيا بازاء الأخطار المحدقة بها ، فلا ترفض مرافقه زوجها فى النزهة التى دعاهما اليها «جمال» ، كما لا ترفض الذهاب بصحبتهما الى السينما ، وكان بوسعها أن ترفض ، بدلا من السهاد والأرق اللذين عانت منهما ليلة علمت بدعوة صديقها القديم دقيقة الخصر ، ملفوفة الساقين ، ولو شمخ صدرها قليلا لكانت أروع ، الزوج بذلك الصديق المنحل الذى لاعمل له الا مغازلة الغاديات والرائحات ، بل ولا يعقل أن يقبل زوج مصرى أن يصادق شخصا مثله ، واذا كانت الصداقة غير مستحيلة ، فان الغريب حقا هو اصرار الزوج على أن يصحب زوجته معه يرافقهما هذا الصديق ٠ بل ان الزوج ـ عندما تضع زوجته طفلها ـ يدخله حجرتها ، ويتركه معها فى الغرفة ويذهب لاعداد الشاى له ٠ ولاشك أن هذا السلوك قد فرضه المؤلف على هذا الزوج فرضا ٠ حتى يهيىء للرواية النهاية المنتعلة التى اختارها لها ٠ وحتى تكون القطيعة بين الزوجين نهائية ولا رجعة فيها ، يكون حبيب الزوجة القديم صديقا للزوج ، وشبه ملازم له ، ولزوجته مما يتيح للزوج أكبر قدر من سوء الظن بها ٠

ويكون سلوك الزوجة مفروضا عليها ، مثل حزنها الذى تظهره لزوجها عندما يخبرها أنه نقل الى الجيزة ، مع أنه سيقربها من أسرتها وهو مايسبب لها السعادة ، كما أنها ستتخلص من مطاردات « جمال » لها ، ومضايقته اياها ، ويكون هذا الحزن مأخذا يأخذه عليها زوجها فيما بعد ٠

ويفرض المؤلف على الزوج موقفا غريبا ، وغير مقنع ، فهو يحب «عليه»

---

(١) القصة من خلال تجاربى الذاتية ص ٨٤

(٢) النقاب الأزرق ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ٠

ابنة عمه فى الواقع دون أن يفطن الى ذلك ، فى حين تكون عواطفه تجاه زوجته عواطف مؤقته أو كاذبه • ويكون ذلك مصداقا لقول أبيه من قبل له : انك تحب علية » • فبمجرد أن تذكر له زوجته أن « علية » زارتهما فى الاسكندرية حتى تثير مشاعر حبه الخافيه لها يقول : « •• قلبه يدق فى صدره فى قوة ، ودماءه تتدفق حارة فى عروقه ، ومشاعر من الحنان تنبثق فى جوفه ، واعتراه اضطراب ، وفطن الى ما طرأ عليه من تبدل فخشى أن تلحظ ذلك فمد يده وأطفأ النور •

وتقدم منها وقلبه دائب الخفقان • ولفها بذراعية وضمها الى صدره فى قوة وقبلها قبلة طويلة حارة أذاب فيها روحه ، فاسبلت جفنيها فى راحة ، وأقلع قلقها • ونزلت سكينة بفؤادها ، ولو قرأت ما كان يجرى فى ذهنه فى هذه اللحظة لتمزق قلبها ، ونأت عنه تخفى وجهها براحتيها ، فقد كان يرى نفسه بعين خياله يضم اليه « علية » فى وجد ويلثمها فى هيام » (٣) • ويخرج للبحث عن « علية » على شاطىء البحر حتى يراها وهى لا تراه ، فيتأثر لرؤيتها تأثرا شديدا : « •• فقفز قلبه فى رعونة حتى كاد يفر من فيه ، وتخلخلت مفاصله ، وأخذ ينظر وقد سر بله الاضطراب • وثبت ناظريه عليها وقلبه يدق فى شدة ، ودماؤه تتدفق حارة فى عروقه ، وقد استيقظت بين جوانحه مشاعر الحب الجبار » (٤) • وعندما يزوره أبوه فى الاسكندرية تثور مشاعر حبه « لعلية » بصورة مبالغ فيها كالعادة (٥) • وعندما يذكر جمال لحسين (بطل الرواية) أنه كان يهوى فتاة ، ولم يكتشف حبه لها الا بعد فوات الأوان ، يغوص الأخير فى ذكرياته مع علية ابنة عمه التى لم يكتشف حبه لها الا بعد أن تزوج ويتضخم حبه بصوره غير مألوفة • ويدعو تطابق مسلك الرجلين الى الدهشة •

ولما كانت عليه فتاة مثقفة ، وثرية ، ورقيقة المشاعر ، فان موقفها المنطقى ، من حسين بعد زواجه كان ينبغى أن يكون الاعتزاز بالنفس لالتها لك عليه ، والسعى بالطرق غير الشريفة لهدم حياته ، وبخاصة بعد أن أنجب • وقد حاولت هدى أن تثير لديها مشاعر نبيله ـ لعلها تثنيها

---

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٣

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٦ ، ٢٢٩

(٥) المرجع نفسه ص ٢٣٩

عما هى مقدمة عليه من تقويض أسرتها ، فحملت طفلها اليها ، ولكنها لا تستجيب لشىء من هذا ٠

وتكون « عديلة » صديقة هدى ، وزميلتها فى المدرسة ساذجة للغاية ، فهى تسلم صورة صديقتها وهى تعلم أنها متزوجة ، حتى تتخذ الصورة أداة ادانة لها ٠

وتمثل « اجلال » ابنة خالة هدى النموذج العدوانى الشرير الذى لاكته السينما المصرية القديمة طويلا ٠

وهكذا نلاحظ أن الشخصيات يغلب عليها لون واحد من العواطف والأفكار ، وتسيطر عليها نزعة خلقية رجعية ، تعاقب من تكون لها علاقة سابقة بآخر قبل زواجها ، أ ومن يريد الزواج بغير موافقة من أبويه ، كما قلنا من قبل ٠ وقد أثرت تلك النزعة الخلقية على الرواية بكاملها كما قلنا ٠ فالمخطىء لابد أن يحصد ثمار خطئة ٠ « فهدى » « الزوجة » تحصد ثمار خطئها ، الذى يتمثل فى مصادقتها لبعض الضباط لتظفر بواحد منهم زوجا لها ٠ ويتضح هذا المفهوم مما يذكره المؤلف عن رواية أخرى له هى رواية « الحصاد » ، فيقول : « ٠٠ وفى قصة الحصاد كان الجنس هو المحرك لأغلب شخوص القصة ، وعمودها الفقرى ، وكانت القصة تصور اللحظات المعتمة الغليظة فى حياة الانسان ، ولو أن كل شخص من أشخاص القصة الهابطين قد جنى مازرع ، وحصد الأعاصير ٠ الا أننى صورت « الهام » أخت يثينة وهى تسمو بأفكارها ومشاعرها عن واقع الآخرين » (٦) ٠

وخضوعا لنطق المغزى الخلقى تكون البيئة الأسرية للفتاة بيئة تسيطر فيها الأم ، بينما يكون الأب مجرد أداة لاستكمال صورة الأسرة ، حتى أن حسين عندما يذهب لخطبتها يتصور أنه ربما وضع يده فى يد حماته أثناء عقد زواجه على هدى ٠ وتكون الحماة فضلا عن ذلك متبذلة ، وتزداد تبذلا بعد أن تخطب ابنتها ٠ فهى : « ٠٠ امرأة طويلة فى الأربعين ، عيناها واسعتان ، وأنفها دقيق وشعرها طويل ، قد لفت سوالفها حول أزنيها كواو ، وتدلى من أذنيها قرط كبير بشكل هلال أقرب لتلك الأقراط التى تتزين بها

---

(٦) القصة من خلال تجاربى الذاتية ص ١٠٦ ، ١٠٧

فتيات الغجر ، يشع من عينها بريق قوى ينفذ الى القلوب » (٧) ٠

ويتفق الشاب مع أم عروسه على كل شيء وأبوها حاضر ، ولكنه يكون : « ٠٠ صامتا كأن « الأمر لا يعنيه » ٠ والكاتب بهذا كله يصور فساد بيئة الفتاة ٠

وتتضح حبكة الرواية من قول الكاتب : « ان أول ما يشغل بال الكاتب عند بداية كتابة قصته هو طريقة تقديم شخوصه الى القارىء ، وتعريفه بهم ، ولما كان القاص على بينة من أن القارىء لم يندمج بعد فى جو القصة ، لذلك يبذل قصارى جهده ، فى أن يقدمهم بطريقة مشوقه تستهوى القارىء وتجعله يسير معهم ويهتم بهم ٠

وقد يبدأ القاص منذ اللحظة الأولى بتقديم شخوص قصته ، وقد اكتملت عناصر المشكلة ٠ قبل الوقت الذى تروى فيه الأحداث ، وتكون نقطة الانطلاق بداية الصراع الذى سينشب بين أبطال القصة ، ويبدأ الكاتب على ذلك ليستحوذ على القارىء منذ الصفحة الأولى ٠ وقد اتبعت هذه الطريقة فى قصة النقاب » (٨) ٠

وهذا يؤكد أن المؤلف بدأ يعرض موضوع « رواية النقاب » منذ بدايتها ، وهو رغبة « حسين » فى الزواج من « هدى » ، ورغبة أبيه فى تزويجه من ابنة عمه « علية » ٠ وينشأ من تضارب رغبتيهما صراع عنيف ينتهى بزواج الابن من الفتاة التى أحبها دون موافقة من أبيه ثم لا يلبث بعد الزواج أن يكتشف أنه كان يحب علية ، وأنه مازال يحبها ، ولا يحب هدى التى تزوجها بمحض اختياره ٠ ولكى يطور المؤلف الأحداث يضع جمال حبيب الزوجة القديم فى طريقها فى الوقت الذى تواصل عليه محاربتها لاستعادة ابن عمها الذى تحبه ، مما يكشف للزوج عن ماضى زوجته وعلاقتها بجمال ، وتحل العقدة بالطلاق الذى يفرق بينهما ، ولكن الرواية تنتهى نهاية مفتوحة لأننا نرى البطل لا يقدم فورا على الزواج من علية ٠ ولا نعرف من سيتزوج بعد ٠ ونلاحظ أن الماضى الخاص « بعلية »

---

(٧) النقاب الأزرق ص ١٤٨ ، ١٤٩ وانظر صورة أخرى لها واضحة التبذل المرجع نفسه ص ١٥٦

(٨) القصة من خلال تجاربى الذاتية ص ٩٠

ظل سرا ، لا يعلمه القارىء وذلك ليؤدى دوره فى التشويق وتعقيد الحدث بل وحله كذلك ٠

***

وتعرض رواية « المستنقع » ١٩٥٧ للصراع بين أختين على رجل وتشبه الرواية السابقة من هذا الجانب ٠ ويتحقق بناء الحبكة فيها بدقة ٠ فالمؤلف يبدأ بعرض مشكلة الرواية أو قضيتها منذ البداية ، والتى تتمثل فى تقديم مشكلة البطل والبطلة (فؤاد ، وسهير) فهما يريدان أن يتزوجا ، ولكنهما يخافان أن ترفض أسرة الفتاة اتمام هذا الزواج ، لأن لسهير أختا كبرى لم تتزوج بعد ، ولا ينبغى حسب التقاليد أن تتزوج الصغرى قبل الكبرى ٠ ولكن والد الفتاة يوافق على زواجهما على خلاف ما توقعا ٠ وتأبى سوسن الأخت الكبرى أن تستسلم للأمر الواقع ، فتقرر أن تستولى على خطيب أختها وتحقق رغبتها تلك ، باغرائه ، وتسليم نفسها له ، مما يضطره الى فسخ خطبة أختها ، والزواج بها هى ٠

ولا تكتفى سهير بذلك ، بل تخون زوجها ، متخذة من صديقه خليلا لها ٠ مما يؤدى الى أن تهجر زوجته منزل الزوجيه ، بعد أن تكتشف خيانته لها ٠ وتسىء معاملته ، فيضطر الى قتلها ٠

وتقتضى طبيعة الحبكة عند المؤلف أن يستمر فى تعقيد الأحداث ويحقق غرضه ، بخلق شخصية « سوسن » المريضة نفسيا ٠ والتى تتمثل عقدتها فى تدليل أمها لها فى صغرها بعد أن هجرها أبوها وتزوج بأخرى ٠ وهكذا يطغى على الصغيرة حب التملك ، ويلازمها فى كبرها ٠ فنحن نراها فى بداية الرواية ، وقد استولت بالقوة على حقيبة يد اشترتها أختها سهير لنفسها ، وتحاول أن تستولى على زجاجة عطر اشترتها أحلام زوجة صديق زوجها ، ثم تتطور هذه الرغبة فى تملك الزجاجة الى تملك زوج أحلام نفسه٠ وتنجح فى ذلك ، وتفعل ذلك أنتقاما من أحلام لأنها لم تهد زجاجة العطر اليها ٠ ولأنها كانت صديقة لأختها سهير ، ولأنها ـ أيضا ـ أبدت دهشتها عندما استولت على قلم زوجها ٠ ولا تكتفى بذلك كله ، بل تقرر أن تقيم علاقة غير مشروعة مع زوج جارتها ، لأنها لم تهتم بها الاهتمام الذى يليق بها٠ يتضح رسم المؤلف لشخصية سوسن من قوله : « ٠٠٠ فى قصة المستنقع

حاولت أن أصور فتاة لها أخلاق العرسة ، تخنق ضحيتها ، وان كانت لا تأكلها ولا تشرب دمها ، فصورت صراعا بين سوسن العرسة وبين أختها سهير » (٩) ٠

وكان الجنس هو الأداة التى استخدمتها « سوسن » فى الانتقام من أختها ، وجارتها ٠ ولكى تتمكن من تحقيق غايتها فى يسر كانت جميلة ، ويتوقف الكاتب ليصور جمالها أكثر من مرة ، اذ يصف جمالها وهى فى شقة فؤاد خطيب أختها قبل أن تتزوجه ، كما يصفها وهى فى حمام السباحة بصحبة زوجها ٠ وتبدو فى هذا الوصف فاتنة لعوبا ، وأكثر من اختها سهير جمالا : « ٠٠ كانت رشيقة متناسقة الأعضاء ، زاخرة بالفتنة والاغراء ، كانت أنضج من سهير وأكثر أنوثة وجاذبية » (١٠) ٠

ويستغل المؤلف أحداثا ساذجة حتى يكشف عن مشاعر شخصياته وبخاصة سوسن ، فعندما يقص عمر قصة الزوجة الخائنة التى قتل زوجها عشيقها ، ندرك الموقف الذى تتخذه كل شخصية من هذا القتل الذى يصور رد فعل كل منها تجاه الخيانة الزوجية ٠ فسوسن تتعاطف مع الزوجة الخائنة ، مما يكشف عن استعدادها للانحراف ٠

« ٠٠ قالت أحلام فى ثورة :

ـ أخطأ الزوج ٠

وقالت سوسن مؤيدة :

ـ نعم أخطأ الزوج ٠

وقال عمر وقد اتسعت عيناه :

ـ وماذا كان يفعل ؟

---

(٩) انظر القصة من خلال تجاربى الذاتية ص ١٠٢ ، وانظر « المستنقع » ص ٤٧ ، ٤٨ حيث تنعت سهير أختها سوسن بالعرسة بعد أن استولت على حقيبتها وانظر تحليل الكاتب لنزعة سوسن العدوانية ، المستنقع ص ١٩٠ ، ١٩١

(١٠) المرجع نفسه ص ٨٤ وانظر وصفها الجسدى ص ٨ ، ٤٨ ، ٩٥ من المرجع نفسه ٠

قالت أحلام فى اقتناع :

ـ كان عليه أن يقتل الزوجة ٠

فقالت سوسن فى انكار :

ـ يقتل الزوجة ؟ هذه قسوة ٠٠ هذه وحشية ٠

وقالت أحلام :

ـ كان جدى يقول : لولا الكلبة ما دخل الكلاب البيت ، اقتل الكلبة ينفض الكلاب عن دارك ٠

وقال فؤاد :

ـ أنا أؤيد جدك ٠

وقالت سوسن فى اشفاق :

ـ دعونا من هذا الحديث ، انى أمقت حكايات القتل والموت ، لا نزال شبابا ، فلنستمتع بشبابنا » (١١) ٠

ويسيطر الدافع الخلقى على رسم الشخصيات ، ففؤاد ، وعمر يقعان فى الخطيئة مع « سوسن » بنفس الطريقة ، لأنها اتخذت فى اغوائهما أسلوبا واحدا ٠ ولكن فؤاد يتزوج بها اصلاحا لخطئة ، فى حين لا يستشعر عمر ندما ، ولا يحس بتأنيب الضمير ، مع أنها زوجة صديقة ، وبرغم أن زوجته تكون وفية له وفاء تاما ٠ ولذا يجعله المؤلف يدفع ثمن خطاياه ، فيخرب بيته ، ويضيع مستقبله ٠

وتساق بعض الأحداث لطرافتها ، دون أن ترتبط بالبناء الروائى، ويصبح بعضها ساذجا مفتعلا ٠ كأن يحاول كل من سوسن وسهير ، وفؤاد أن يعرف حظه من الورقة الموضوعة مع قطع الشكولاته ٠ والغريب أن يأتى حظ كل منهم متفقا مع ما رآه فى تلك الورقه ٠

وعندما تردد احدى الشخصيات عبارة ما يرددها من يسمعونها بطريقة تكشف عن دوافعهم ، فعندما يقول والد سوسن : « ٠٠ ألذ الأخذ ما سلب »، تردد سوسن تلك العبارة ، بعد أن أغوت خطيب أختها لتتزوج به بدلا منها٠

---

(١١) المرجع نفسه ص ٩٩

بل ويرددها الشاب نفسه ، ضاحكا من صدقها ، وسوسن فى شقته قبل أن تغويه كما تجرى على لسانه ، بعد أن يلاحظ تصرفات زوجته « سوسن » غير الطبيعية فى حمام السباحة ، بعد أن ضاق بذلك السلوك · ويتتضح المغزى الأخلاقى للقصة ـ بجلاء ـ من النهاية السيئة التى تنتهى اليهـا سوسن · ومن موقف الأب الذى يساق اليه نبأ وفاة ابنته ، وهو فى صحبة ساقطة يداعبها ، وكأن هذا انتقاما سماويا منه ·

والشخصيات جميعا فى الرواية أنماط ، يهتم المؤلف بوصفها جميعا أوصافا جسدية تكشف عن تصوره الواضح لها ، فيما عدا أم سوسن لأنها لم يكن لها دور فى الرواية ·

وتطغى ثقافة الكاتب أحيانا على بعض شخصياته ، ويتضح هذا من القصة التى يرويها عمر عن الشاعر بشار بن برد ، تأييدا لقصة غريبة عن رجل ذهب الى احدى دور السينما وداعب احدى السيدات فاستجابت له ، وعندما أضيئت الأنوار وجدها زوجته ·

وقد صور الكاتب هموم شخصياته مثل سهير ، وأحلام ، كما أعد الشخصيات لتؤدى أدوارها · فالأب لأنه سكير ، ولا يحتفل كثيرا بما يقوله الناس ، يقبل بسهولة أن يفسح خطبة فؤاد لسهير ، ثم يزوجها له بسهولة ويسر ، فهو أب لا يحفل الا بمتعته ، وينطلق بلا حدود خلف شهواته ونزواته · ويشير المؤلف الى أن « سوسن » تشبهه ، فى حين تشبه سهير أمها فيما تتمتع به من عفاف وخلق · ولكنه لا يتوسع فى بيان أثر الوراثة على الأشخاص توسعا يقربه مِن نجيب محفوظ فى « الثلاثية » على سبيل المثال · ولا يعدو هذا أن يكون خاطرا خطر للسحار ، لبيان أن الأب الفاسق يدفع أبناؤه الثمن ·

***

وتصور رواية « الحصاد » ١٩٥٩ ، أساسا أسرة سليم باشا شلبى ، ومن يخالطونها أو يتعاملون معها ، وتمتد الحقبة الزمنية التى تصورها من تتويج ملك مصر السابق فاروق ١٩٣٦ حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وخلع ذلك الملك · وهى فترة تبلغ ستة عشر عاما تقريبا · وتركز على ما

يعانيه أشخاصها من مشاكل عاطفية أو مادية ، وما يقومون به من أفعال، دون أن نحس بتطور المجتمع الذى تجرى فيه أحداث الرواية • حقا يتحدث المؤلف عن بؤس الفلاحين العاملين بأراضى الباشا الواسعة ، ويصور بؤسهم فى صورة مغرقة فى المبالغة نقتطع منها قوله : « •• كانت القرية غارقة فى الذل : والطرق ضعيفة ملتوية كثعبان ، والقمامات هنا وهناك ، والذباب يغطيها • وبعض الكلاب تسير فى تراخ ، ودجاجات تنقر روث البهائم الذى تغوص فيه الأرجل الحافية •

وكانت الأرض موحلة ، وفى منخفضاتها رب الماء وأسن ، وراحت الحمير المحملة بالبرسيم والمحاريث والطنابير تنطلق فى بلادة وعبوس ، كأنما كانت تستشعر الهوان الذى يعيش فيه أصحابها •

وعلى أبواب الأكواخ المبنية بالطين جلس بعض النسوة فى ثيابهن الزرقاء أو السوداء التى كلح لونها ، ذا بلات الأعواد ، بارزات الوجنات ، تنفر عروق أعناقهن ، ويكاد ينطفىء بريق عيونهن ، وحولهن صبية حفاة أجسامهم هزيلة ضامرة ، عليهم جلابيب مرقعة ، لا يظهر لونها من الأوساخ، انها كل ما يملكون من ثياب ، وانهم ليمكثون عرايا يوم تغسل حتى تجف ، وما أقل الأيام التى تغسل فيها » (١) • ويمضى على تلك الشاكلة من تصوير بؤس الريفيين ، محاولا بذلك تصوير مفاسد الاقطاع • وهو بتلك المبالغة يصور الريفين أحياء فى صورة الأموات •

كما يحمل حزب الوفد ما حدث من فساد فى مصر عندما قرر أن يهادن الملك حتى يطول بقاؤه فى مقاعد الحكم • ويذكر ما كان يثار بعد ثورة ١٩٥٢ من أن زعيم حزب الوفد تأكيدا لتغيير سياسته مع الملك يطلب الى مولاه أن يسمح له بتقبيل يده • ويذكر الخبر على لسان « رفعت » مقلدا زعيم حزب الوفد : « ــ لى طلب واحد يامولاى ، فالتفت الملك مذعورا الى سرى باشا الذى أفهمه أن رفعة الباشا لا مطلب له هذه المرة الا أن يرضى مولاه ، ثم عاد ينظر الى رئيس وزرائه وقد أوجس منه خيفة • واذا برفعة الباشا يقول : لا مطمع لى الآن الا أن أقبل يد مولاى » (٢) •

---

(١) الحصاد ، ص ٥٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٤

ولكن التطور الاجتماعى غير بارز فيها ، ومع ذلك فالمؤلف يرى الريف رؤية واقعية ، فلا يمضى فى تصوير جماله كما كان يفعل الرومانسيون بل يصور قبحه ويبالغ أحيانا فى ذلك ٠

وتركز الرواية على تصوير الحياة السياسية فى مصر لأن سليم باشا شلبى كان مهتما بها ، فهو عضو بارز فى حزب الوفد ، ويريد أن يظفر لابنه حلمى بمنصب الوزارة ، ومن ثم ظل هو وابنه يتابعان ما يجرى من الأمور السياسية ٠ ونلتقى بأسماء أشخاص معروفين كالملك فاروق ، وزعيم حزب الوفد الذى يطلق عليه المؤلف لقب الباشا ، كما نسمع عن محمود فهمى النقراشى باشا ، واحمد ماهر ، وأخيه على ماهر ، وابراهيم عبد الهادى ، ونجيب الهلالى وحسن سرى ٠

ويتوقف المؤلف عند أحداث سياسية هامة فيتحدث عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى تسلم الوفد نتيجة له الحكم ، ويحاول تفسيره من وجهتى نظر المعارضة السياسية وحزب الوفد ممثلا فى سليم باشا كما يتحدث عن اغتيال النقراشى ، ومجىء ابراهيم عبد الهادى الذى حل جماعة الاخوان المسلمين ٠ كما يتوقف عند حادث ضرب الانجليز لمحافظة الاسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ثم وقوع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير من نفس العام ٠ ويشير الى أزمة نادى ضباط الجيش ثم ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وما اعقبها من صدور قانون الاصلاح الزراعى ٠ والمؤلف حريص على اذاعة البيان الذى وجه الى الملك فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ حتى يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ٠

ومن يقرأ الرواية يحس أن مؤلفها ألفهـا بعد يوليو ١٩٥٢ : وأنه يريد أن يصور مفاسد الطبقة الارستقراطية ، ممثلة فى أسرة سليم باشا شلبى بوجه خاص ٠ وهى ـ فى رأيه ـ طبقة منحلة ، تنشد الكسب غير المشروع ، واشباع شهواتها فالباشا وابنه الأكبر عبد الخالق منحلان ويضبطان فى أحد البيوت السرية ، وهو بيت تملكه الست أنهار صاحبة جمعية الفتيات الصالحات ، ويقتادهما البوليس فى صحبة الفتيات وصاحبة الدار الى قسم البوليس ٠ حيث يطلق سراح الجميع بتدخل من وزير الداخلية

وقد ضيق الباشا الخناق على ابنه عبد الخالق ، ولم يمد له يد العون فى مضاربات البورصة ففقد ثروته ٠ وتحت وطأة المهانة التى يحسها ،

يرتاد منزل مرسى الذى يديره للقاءات المحرمة بين الرجال والنساء بمساعدة زوجته اليهودية • ثم يرتاد منزل الست أنهار ويضبط مع أبيه •

ويكون لمعرفة يثينة زوجة عبد الخالق حادث ضبط زوجها وأبيه فى منزل الست أنهار أثره فى سقوطها ، اذ تسلم نفسها اثر ذلك لرفعت صديق زوجها الذى كان يمهد لاقامة علاقة آثمة معها منذ أكثر من خمسة عشر عاما • ثم تمضى فى انحدارها الخلقى ، فلا تحاول أن تتستر فى علاقتها به حتى تشيع ، ويعرف الباشا ، ويطلب الى زوجها أن يطلقها ، ثم يراهما زوجها فى وضع شائن وهو مريض ثم لا يلبث أن يموت •

والباشا رجل قاس يبحث عن مصلحته وحدها ، وهو ـ فى الوقت نفسه ـ يخدع فى عثمان ابن أخيه الذى يسرقه ويشترى مائتى فدان ، بل ويحصل على لقب الباكوية من أموال الباشا • ولا يكتفى عثمان بذلك بل يوقع بينه وبين عبد الخالق حتى يسرق على هواه ولا يكتشف الباشا خطأه الا وابنه يلفظ أنفاسه الأخيرة • وشخصيته ذات وجهين : وجه يمثل التدين والصلاح ، وآخر عربيد يبحث عن المتعة المحرمة مع غير زوجته • وهو فى هذا يشبه السيد احمد عبد الجواد فى الثلاثية لنجيب محفوظ • واذا كان كمال وياسين السيد احمد عبد الجواد قد اكتشفا الجانب العابث من حياة أبيهما ، وأدهشهما ذلك ، فان عبد الخالق يكتشف الجانب نفسه عند أبيه ، ويواجهه فى تشف واضح ، لأنه كان يشعر بغاية الأسى لسوء معاملة أبيه له ، فى حين يغدق من عطفة على أخيه حلمى ولا يبخل عليه بماله • بل وشمل بذلك ابن عمه عثمان الذى كان يسرق أمواله •

وتكون صورة الابن الثانى لسليم باشا مناقضة تقريبا لصورة ابنه الأول ، ومعاملته له مختلفة كما قلنا ، وهو خريج كلية الحقوق ، ويريد له أن يكون وزيرا ، ويخطط لذلك فى أناة وصبر ، فيزوجه من سميرة ابنة محفوظ باشا حتى يمكنه بنفوذه فى حزب الوفد أن يجعل من ابنه وزيرا • ويتصادف ان تكون الفتاة عاقرا ، وتسومه ـ فى الوقت ذاته ـ الهوان وتعيره بعلاقته بفتاة أجنبيه تدعى « ايفا » ، كان قد اتخذها خليلة له ، ثم حملت ، ولكنه تخلى عنها ، فغادرت البلاد مكرهة • ولكنه يظل دائم التذكر لها لأنه كان يحبها ، ولأن اساءات زوجته كانت تذكره دائما بها ، كما أن رؤيته لأى طفل كانت تذكره بالمولود الذى سوف تضعه ايفا •

ولا يتحقق حلمه ولا حلم أبيه فى الوزارة ، بل وتتبدد تلك الأحلام نهائيا بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ • وقد اتسم بالطيبة وبالصراحة فى مواجهة نفسه ، كما كانت تثور بنفسه عواطف الأسوياء من الناس كالغيرة ، والغضب والأبوه وغيرها • والشخصيات جميعا فى الرواية أنماط لا يصيبها التطور ، بل تظل تبدى لنا طبيعتين على أكثر تقدير • ويمكن تلخيص كل شخصية فى سمة من السمات البارزة • فسليم باشا يدل مظهره وسلوكه على القوة ولكنه فى الواقع ضعيف ، ولذ فهو يبدو بمظهر الحازم الذى لا يتراجع عن قرار اتخذه حتى يحافظ على هيبته أمام أبنائه • وهو رجل عصامى بنى نفسه بنفسه ، وان كان ابنه يتشكك فى أنه بنى ثروته بطريقة مشروعة • ويفاخر الأب بعصاميته •

وتكون زوجة الباشا وأم « حلمى » خاضعة لزوجها مطيعة له لا تجسر على مخالفته أو معارضة رغبة من رغباته ، ولايخفى الكاتب أنها غبية ، ولا تدرى عما حولها الكثير ، وهى أيضا بخيلة وفى الوقت ذاته تبعث بالتبرعات الى فقراء مكة فى حين تبخل على فقراء القرية من الخدم وغيرهم •

وتكون يثينة زوجة عبد الخالق من الشخصيات الهامة فى الرواية ، فهى مشغولة بالحصول على نصيب زوجها من ثروة أبيه ، بل انها تريد أن تزوج اختها الهام من « حلمى » أخى زوجها حتى تضمن أن ثروة الباشا ستئول اليهما معا • وتحاول فى سبيل تحقيق ذلك الزواج أن تعاون حلمى ــ دون أن يطلب اليها ذلك ــ فى التخلص من الفتاة النمساوية ولم ترحم الفتاة بل تطلب اليها مغادرة البلاد وهى حامل ، وتشاطرها مبلغ الخمسائة جنيه الذى منحة الباشا لها كتعويض • ولكن حلمى لا يتزوج اختها بل يتزوج بنت محفوظ باشا ، فيثور غضبها لفشل خططها فتبلغ زوجته الجديدة بعلاقته بالفتاة الأجنبيه مما يكون له أسوأ الأثر على حياته الزوجية •

ويصورها المؤلف جميلة جدا ، ويتوقف ليصور جمالها أكثر من مرة ، ويصفها فى كل موقف تقريبا تكون فيه مصدر اغراء للمعجبين بها • وهى زوجة وفيه تعين زوجها بمالها وتقف الى جوارة تشد من أزره ، وتدافع عنه • ولاتستجيب لاغراء رفعت صديق زوجها ، وتطرد شعبان ثرى الحرب عندما حاول أن يتخذ منها خليلة له • ولكنها بعد خيانة زوجها لها تستسلم

لرفعت وتتخذه عشيقا • وقد مهد المؤلف لسقوطها تمهيدا طويلا فجاء طبيعيا ، ويصور موقفها ذلك بقوله : « •• كانت فى حاجة الى عطف وحنان ، وكانت ثائرة لا تجد من تفضى اليه بمتاعبها ، فما أن دخل عليها رفعت حتى راحت تمرغ وجهها فى صدره وتقص عليه أشجانها ، وغمرها بحنانه حتى نسيت نفسها ، واستسلمت لرقته ، فلما أفاقت لنفسها وجدت أنها قد زلت » (٢) • وهى قد يستيقظ ضميرها أحيانا ، فتحاول أن تقطع علاقتها برفعت ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك •

أما عبد الخالق الابن الأكبر للباشا فمسرف متلاف ، يجمع حوله جماعة من الفنانين والممثلين ، والمنحلين خلقيا ، ينفق عليهم ، ويضارب فى البورصة على أمل الكسب فيخسر ، ولا يحاول أبوه مساعدته ، فيغرق همومه فى الخمر بعد أن فشل فى الحصول على المال من مصدر آخر • ثم يهرب من منزله بسبب توبيخ زوجته له على مهادنته لأبيه ، فيعرف منزل مرسى ، ومنزل الست أنهار • ويكون التحول الوحيد الذى أصابه هو تسامحه مع أبيه ومع زوجته وعشيقها ، وعقب ذلك تدركه الوفاة •

ونلتقى بالممثلة المشهورة التى تعشق النساء دون الرجال ، و«بمرسى» الفواد ، وزوجته اليهودية « البغى » رحمة • كما يلتقى بغنى الحرب « شعبان » الذى أراد أن يستفيد من الضائقة المالية لعبد الخالق فيتخذ من زوجته يثينة عشيقة له ، ويقدم لزوجها قرضا لقاء ذلك • ولكنها تصده وتطرده من منزلها وتلقى فى وجهه بأسورة ثمينة كان قد أهداها لها • ويمثل شعبان نمطا يصور أغنياء الحرب الذين يرون أن كل شىء يمكن أن يشترى بالمال ، وهو جلف جاهل ، لايقيم للمشاعر الانسانية وزنا •

والشخصية السوية الهامة فى الرواية هى الهام أخت « يثينة » فهى تعرف ما تريد ، وتتسم بالبساطة والصدق مع النفس ، أحبت بدر الدين المهندس فتزوجت منه ، ورفضت أن تتزوج من « حلمى » بن سليم باشا • كما كانت أختها تريد ذلك • فتقول عن بدر الدين : « •• كم هو لطيف بدر

---

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٣ ، ويصور فزعها من المصير الذى ينتظرها اذا انساقت الى علاقتها برفعت ص ٢٥٣

الدين ، انه رقيق الحس ، طيب القلب ، فيه اريحية ودماثة خلق • فلماذا تفضل بثينة عليه حلمى ؟ هل حقا مات فيها كل احساس ولم تعدلها من أهداف الا أن تصنع يدها على أموال الباشا ؟ وهل لو تحقق حلمها ، يتحقق حتما كل ما تصبو اليه من سعادة ؟ • انها هى الهام الصغيرة التى لا تملك بعض ما تملكه أختها لا تهفو نفسها الى امتلاك هذه الأرض التى يرويها مئات الساكين بعرق جباههم وعصير حياتهم • كانت قبل أن تفد الى العزبة لاتطمع فى الأرض ولا فى أصحابها ، وأنها بعد أن عاشت فيها حياتها المملة المكرورة أصبحت أكثر زهدا فيها » (٤) وقد حقق بدر الدين الذى تزوجته الهام نجاحا عظيما ، فعاشت فى سعادة ، ولم تقطع صلتها بأختها ولا بأسرة زوج أختها • وتؤدى الهام وظيفة هامة ، فهى تحرك الأحداث ، وتثير مشاعر بعض الشخصيات مثل أختها بثينة التى تقارن بين حظها وحظ الهام • وأيضا حلمى الذى كان يرى أطفالها فتثور مشاعر الأبوة لدية •

أما عثمان ابن أخى الباشا ، وناظر مزارعه فهو لص ، استطاع أن يفسد العلاقة بين الباشا وابنه عبد الخالق حتى يتمكن من السرقة فى مأمن • وهو نمط يجمد على صورة واحدة • ولكنه يلعب دوراها ما فى أحداث الرواية والتأثير على الشخصيات الأخرى مثل عبد الخالق مثلا وزوجته بثينه • فهو يحرص بعد أن تخلص من عبد الخالق أن يوغر صدره على زوجته لخيانتها له •

ويلعب اسم الرواية دورا هاما فى رسم شخصياتها ، فكل شخص يحصد ثمار ما غرست يداه ان خيرا فخير وان شرا فشر • وتسيطر تلك الفكرة على مصائر الشخصيات سيطرة واضحة • ويظهر ذلك واضحا فى شخصية الباشا ، الذى يجنى ثمرة قسوته على ابنه الأبكر ، وتصديقه لعثمان ابن أخيه بأن ابنه يريد قتله ، وتقاعسه عن مديد المساعدة له • ثم فضيحة ابنه بعد أن سقطت زوجته وفاحت رائحتها ، وموت ابنه متأثرا بذلك • كل ذلك يجعله يذهب الى ابنه يبكيه بعد فوات الأوان ، وبعد أن خسر أراضيه الواسعة ولقبه ، وكل شىء •

---

(٤) المرجع نفسه ص ٦٥ وانظر أيضا ص ٦٦ حيث تقارن بين حلمى وبدر الدين وتفضل الأخير عليه لأنها تحبه •

ويحصد حلمى ثمرة تضحيته بالفتاة الأجنبية التى احبها وبادلته حبا بحب ، وهكذا • وتتردد عبارة الحصاد على لسان يثينه وغيرها فى الرواية مما يجعلها هامة فى تصور شخصياتها • وتتضح تلك الفكرة من الحوار الذى يدور بين بثينة والهام : تقول بثينة محاولة اقناع أختها بالزواج من حلمى ابن الباشا : « ـ أموال الباشا كلها ستكون لنا •

ـ أموال الباشا كلها لا تدير رأسى ، لاتستطيع أن تجعل قلبى يخفق بالحب •

ـ أموال الباشا هى الشباب المتجدد • هى السعادة الدائمة ، وستكون لنا وحدنا •• من يزرع يحصد •• من يزرع يحصد » (٥)! •

لقد حصدت كل شخصية ثمار ما غرسته ، ودفعت ثمن خطئها أو حققت ما كانت تأمل • فحلمى يدفـع ثمن تخليه عن ايفا ، اذ يرزقه الله بزوجة عاقر ، فيحيا معها حياة لا يذوق فيها للسعادة طعما ، يأسى لأنه حرم من الولد فى حين ترك ايفا تغادر البلاد وفى أحشائها طفل ، ويتمنى لو تعود هى وطفلها أو يعرف مكانها • ولكن شيئا من تلك الأمانى لا يتحقق • وتثور عواطف الأبوه لديه كلما رأى طفلا أو طفلة •

***

وتصور رواية جسر الشيطان ١٩٦٢ بيئة الساقطات فى ألمانيا • ممن كن يعملن فى احدى دور اللهو ، ويتخير شابا مصريا مسلما يدعى « على » لكى يقدم من خلاله تلك البيئة ، اذ يحب فتاة تدعى « آنى » وهى ساقطة تبيع جسدها كغيرها • وتدور وقائع الرواية فى أماكن محدودة • وبالأخص « ريبربان » • ويكون ذلك الشاب متدينا ومثاليا • وهكذا يصبح موضوع الرواية هو الصراع بين الرغبة والمبدأ ، أو بين الروح وبين الجسد ولذا يكون البطل والبطلة متناقضين تماما • فكما قلنا هو متزوج وحريص على الوفاء لزوجته التى تركها فى أرض الوطن ، ولكنه يعانى مما يحس به من رغبات وشهوات • فالفتاة التى أحبها هى احدى فتيات الليل التى يتعرف

---

(٥) المرجع نفسه ص ٢٣

عليها فى احدى دور اللهو ، ويتواعدان على اللقاء ويلتقيان بالفعل بعد أن تتوطد صداقتهما ويتزاوران ، ولكن العلاقة بينهما تظل علاقة روحية لاتدنسها الرغبات الجسدية ، ويكون لهذا الحب المثالى أثره فى أن تتحول آنى التى تعودت أن تسلم نفسها لكل راغب فيها ، الى مرأة عفيفة ترفض التفريط فى جسدها • ولكنها فى الوقت نفسه ــ تحس بالرغبة الشديدة فى القاء نفسها بين أحضان « على » الذى احبته بكل جارحة فيها ، وتقرر أن تقدم على ذلك ، وتتهيأ لتنفيذ رغبتها ، ولكنها تتراجع فى الوقت المناسب• ويكون « على » أيضا فى أشد الشوق اليها ، ويرغب فيها رغبة شديدة ، ويصارع هذه الرغبة طويلا •

والغريب أن تلك الفتاة كانت قد أحبت شخصين من قبل ، ولم تخلص لأى منهما ، لأن الأول كان مريضا بحب العذاب أو « ماسوشيا » وكان الثانى يبادلها حبا بحب ، ولكنها تخدعه ، وتهرب منه بلا مبرر • وقد رأى المؤلف أن حب الجسد يفسد العلاقة العاطفية ويهبط بها عما ينبغى أن تكون لها من مثالية وطهر • ولذا يريد أن يسمو بالعلاقة بين البطل والبطلة تحقيقا لدعوته المثالية الى علاقة طاهرة بين الجنسين تسمو حتى بالساقطة التى باعت جسدها الى مستوى من العفاف والطهر غير معقول فى مثل حالتها • ومن ثم أحبت على حبا من لون آخر ، وان كان لا يخلو من الرغبة الجسدية • ولذا عندما يقرر الرحيل الى مصر تحجم عن توديعه حتى لا تضعف فتستسلم لرغباته ، فتفقد ما غرسه فى نفسها من طهر • وتخشى أن تقتله قتلا معنويا، اذا سلمت اليه نفسها ، لأنها عندئذ تقتل فيه مبادئه السامية • وهكذا تحجم عن لقائه ، وتترك له رسالة مطولة تشرح له فيها ما استقر عليه رأيها أخيرا من البحث عن عمل شريف يصونها عن مهانة عرض الجسد على الناس كالأخريات •

وتروى الرواية بضمير الغائب ، وتصور البطلين كليهما عن طريق السرد ، ولكن الحوار فى الرواية يدور فى أغلب الأحيان فى داخل الشخصية ، وكأن بداخل تلك الشخصية شخصية أخرى تدير معها هذا الحديث ، وهو حوار يوهم بأن هناك شخصين لاشخصا واحدا ، وكان بوسع المؤلف أن يبحث عن أسلوب آخر لرسم الشخصية يعفيه من هذا التكلف •

وقد كان البطل والبطلة يتحركان وفق تخطيط أعده المؤلف سلفا • ويتلخص هذا التخطيط فى أن الانسان يمكن أن يسمو ، وأن يرتفع مهما

كان المدى الذى بلغه فى التردى فى المفاسد عميقا • وأن هذا التسامى يثير فى كيان صاحبه سعادة ورضى ، لم يشأ الكاتب أن يسميها حبا ، وان كان الحب أساس هذه السعادة لأنه الدعامة التى يقوم عليها ، والدافع اليها • ولو أنه سمى تلك العلاقة باسمها لكان أكثر توفيقا • فليس هناك تسام مجرد الا عند الصوفية •

وقد برر المؤلف سقوط « آنى » ، ورده الى الحرب العالمية الثانية ، التى انتصر الحلفاء فيها ، ثم انتهكوا أعراض الفتيات الألمان ، اشباعا لحرمانهن الطويل الذى فرضته عليهم ظروف الحرب • مما جعل آنى تكفر بالله لأنها ربطت بين ما حل بها وبوطنها وبنى قومها من مهانة واذلال ، وبين وجود ذلك الاله الذى يرضى للبشر بذلك ، ولا يحميهم من بطش ظالميهم ولذا تتاجر فى جسدها كغيرها ، ولكن هذا السلوك من جانبها لا يجد له تبريرا كافيا من أحداث الرواية ، ومن الغريب أن المؤلف يعود الى القول ان دعارتها كانت ركونا منها الى الراحة ، والحصول على الرزق فى يسر •

ويكون المهندس « على » شخصية غريبة حقا ، فهو يطرف بأماكن اللهو ، والدعارة ، ليتعرف على تلك الأماكن ، بدافع من الفضول وحده • ويداعب النساء مداعبة بريئة لا تمتد الى طلبه للمتعة الجسدية • وهو — بوضوح — بوق ينطقه المؤلف بكل المبادىء الأخلاقية التى يؤمن بها ، ويردد ما يكشف عن معارفه المختلفة • ولذا يحرص على أن يكون بطله مثاليا فى سلوكه وعواطفه ، برغم معاناته الشديدة ، بعد أن أحب « آنى » ورغب فيها ، ثم يقرر أن ينالها بعد أن يهتدى باجابة احدى بنات الليل ، بعد أن سألها عن الرجل الذى يأخذ مفتاح شقة امرأة ليزورها فى بيتها • ثم يأخذ فى عرض مبادئه ومثله العليا على الفتاة التى ترى بعد أن سمعت منه ذلك أن جزاء ذلك الرجل القتل حتى يصعد الى السماء فليس له مكان على الأرض • وهى أفكار مصنوعة مفتعلة •

وهكذا تخضع الرواية — بوجه عام — لأفكار مثالية تمثل أخلاقيات يتبناها المؤلف • ويستخدم التفاصيل العلمية الدقيقة عن التفاعلات الكيماوية ليصور بها منهج الملحدين والماديين الذين يرون الانسان مادة فحسب • ويلح على بيان أنه من الضرورى أن يؤمن الانسان بالله • وتتضح ثقافة المؤلف العربية الاسلامية من آى القرآن الكريم التى يوردها ، ومن ربطه

بين البطل وبين ابليس · وكان لتركيز المؤلف على تصوير الانحلال الأخلاقى الذى شاهده البطل فى أوربا أثره فى اغفاله لكثير من جوانب الحياة التى تصور الحضارة والتقدم العلمى والثقافى هناك ، والتى تتسم بالاشراق ، وتلفت نظر كل من يذهب الى أوربا · ولا يخفى أن الرواية تحمل أصداء كثيرة من رواية « عصفور من الشرق » لتوفيق الحكيم ، التى ترى فى أوربا ، وبخاصة فرنسا وجهها المادى ، وتغفل كل ما حققه الأوربيون من تقدم · وان كانت رواية الحكيم أكثر جودة منها ·

***

ورواية « النصف الآخر » ١٩٦٤ ، تصور حاجة كل رجل أو امرأة الى الجنس الآخر ، الذى يكمل ما يشعر به من نقص ، ويمنحه الاستقرار · وتبدأ الرواية بتصوير مشكلة بطلها شوقى والتى تتمثل فى احساسه بالفراغ بعد وفاة زوجته ، وذلك من خلال تصويره ، وتصوير من حوله · فهو ملول فى عمله لا يرغب فى شىء ، كما يشعر بالوحدة لانصراف أولاده عنه الى شئونهم الخاصة ·

وليس شوقى وحده هو الذى يشغله البحث عن الجنس الآخر ، بل يسير معه على الدرب نفسه ابنه الطبيب محمد ، وابنته نادية التى تجد « نصفها الآخر » فى « عماد » ، وعندما يموت تعثر على « نصف آخر » فى شخص مجدى · وكل شخصية بالرواية ، لها رحلة فى البحث عن الجنس الآخر فيما عدا احمد الطالب بكلية الزراعة · وينجحون جميعا فيما سعوا اليه ·

وتتمثل عقدة الرواية فى رغبة الأب فى الزواج ، وهذه الرغبة تؤثر على حدث الرواية تأثيرا كبيرا ، بل انه ينطلق منها · فالمؤلف يصور وقع تلك الرغبة على كل من احمد طالب بالزراعة ، ونادية الطالبة بالهندسة ، والدكتور محمد طبيب الأسنا ن، ففى حين تعارض نادية واحمد هذا الزواج ، يوافق عليه الدكتور محمد ·

ويتزوج الأب ويعيش مع زوجته فى منزلها ، وتتطور الأحداث بموت عماد ويتغير موقف نادية ، وان استمرت فى بحثها الغريزى عن النصف الآخر ، فتتزوج من مجدى الذى كان يحبها فى صمت ، ويكون زواجهما بمثابة

حل لعقدة الرواية • اذ تعدل نادية عن عدائها لزوجة أبيها ، واصرارها على رفض العيش معها فى منزل واحد ، فتذهب الى عفاف زوجة أبيها ، وتدعوها للاقامة معهم لرعاية شوقى المريض •

هذا هو الخط الأساسى للأحداث ، ولكنه ليس الخط الوحيد ، فهناك أكثر من خط فرعى ، مثل حب مجدى لنادية ، وهو حب صاحت من طرف واحد لأن نادية كانت تحب عماد ، وكذلك حب عماد لنادية وعلاقتهما العاطفية ، وما يجرى بينهما من خصام وصلح • ويصور الكاتب وقع مقاطعة عماد لها ، على نفسها ، كما يصور شعورها بالملل والفراغ بعد وفاته : « •• وتناولوا لفطارهم وذهب احمد يطلع على النتيجة ، وخرج الدكتور الى عيادته ، وبقيت نادية وحدها تغدو وتروح فى البيت بلا هدف ، تتناول كتابا وتقرأ بعض صفحاته ثم تلقى به بعيدا ، وتتمدد فى فراشها ، وما أسرع أن تضيق به فتنهض وتغادره ، وتتجه الى التليفون وتنظر اليه مليا ثم توليه ظهرها ، فلم يعد هناك من تحادثه أو تجد متعة فى أن تصغى الى عذب حديثه • خواء •• خواء •• خواء •• ملل •• ملل •• ملل •• سأم سأم •• سأم ، ثم لاشىء غير الذكريات والأحزان » (٦) •

ولعل الحوار الذى يدور بين مجدى ونادية يصور الفكرة التى بنيت عليها الرواية • فمجدى يريد أن يخرجها من حزنها على عماد الذى تصر أن تعيش على ذكراه ، ثم يقول لها :

« ـ نادية صدقينى انك لن تستطيعى أن توقفى تيار الحياة » • ولا تتضح لنادية مشكلتها الا فى وقت متأخر ، حيث « وضح فى ذهنها ذلك الشىء الغامض الذى تهفو اليه ، انها فى حاجة الى انسان تحدثه ويحدثها، وسيان أتفهمه أم لا تفهمه ، أيفهمها أم لا يفهمها ، يكفى أن تحس أنها ليست وحيدة • وأن الى جوارها بشرا » (٧) •

ومن ثم تطلب مجدى تليفونيا وتدعوه لزيارتها بحجة أن تطلع على أسطور « رسول النساء » التى ألفها وأودعها مشاعره الخاصة تجاهها •

---

(٦) النصف الاخر ، ص ٢٤٠ ، وانظر كذلك تصويره لما تعانيه من ملل ص ٢٧٨

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٧٩

وبالرواية كذلك قصة حب الدكتور محمد وايمان بعد أن صدمها بسيارته ، وتكون لكل قصة فرعية عقدتها التى يقوم المؤلف بحلها ، بعد أن يربطها بخط الأحداث الرئيسى للرواية ، وعقدة هذه الأخيره يحلها المؤلف بالتصالح بين ناديه وأبيها وزوجته • ولكنه يفرط فى بعض العقد الجانبية الى حد يكاد يخرجها عن نطاق حبكة الرواية •

وقد عمد الكاتب الى التخلص من عماد بموته قتيلا فى حادث سيارة فى طريق عودته من الاسكندرية الى القاهرة • وكأنه بهذا الموت يمتحن جدية الوفاء الذى كانت تتحدث عنه نادية عندما فكر أبوها فى الزواج بعد وفاة أمها ، وقد جاء موته مفاجأة للقارىء وليس من المبالغة القول بأن سوق قصة « سلطان » الذى أحيل الى المعاش فضول لاطائل تحته • وعندما ينفرد عماد ونادية فى جزيرة قرب الشاطىء ، يذكر عماد طرفة مفادها أن رجلا يصاب بالملل من معاشرة عدد من النساء فى احدى الجزر الى الدرجة التى تجعله يتمنى أن يسوق له القدر رجلا آخر يعينه عليهن ، وعندما تفد الى الجزيرة امرأة جديدة يصاب الرجل بالاغماء •

وقد أورد الكاتب كثيرا من التفاصيل عن الحياة المنزلية التى كان يحياها أفراد أسرة شوقى ، وهى فى أغلبها امعان فى التزيد لاهدف له •

ولا يستطيع المؤلف أن يقدم شخصيات حية مقنعة فى روايته ، فالشخصيات أنماط ، يتسم كثير منها بالسذاجة والسلبية والضعف • فالدكتور محمد مثلا ، متشائم جبان ، ولعل فى قصة خلع ضرسة ، وما انتابه من خوف ، برغم أنه طبيب للأسنان ما يدل على ما نقول • كما أن فى تصرفات الأب خفة ورومانسية واضحة تغفل أثر البيئة والمجتمع بتقاليده الصارمة ، وما تقوم به من تشكيل لوعى الأفراد ، اذا كيف يتزوج مصرى مجرب من سيدة يراها لأول مرة بمفرده فى ملهى ليلى برغم أنها هى التى شجعته على مغازلتها ، وذهبت للقائه ، وتركب سيارته دون تردد عندما يدعوها الى ذلك • بل انه لا يكلف نفسه أن يسألها عن اسمها ، ولا عن أسرتها حتى تحدثه هى بذلك • والغريب أن رجلا فى مثل سنه ومركزه يصاب بخفة غريبة من فرط فرحه بالزواج فيهبط على درابزين السلم مرتين : « •• وخرج من الغرفة وهى تسير فى أثره ، حتى اذا ما وصل الى الدرابزين ركبه كما يفعل الأطفال ، وهبط عليه وهو يصيح فى مرح وهى تضحك من

كل قلبها » (٨) • ويصف ركوبه للدرابزين فى المرة الثانية : « وخرجا من الغرفة ، وأسرع شوقى الى الدرابزين وركبه ، وراح يصيح صيحات فرح وابتهاج ، واذا بعفاف تقلده وتركب الدرابزين وتهبط عليه ، وضحكاتها تجلجل فى أرجاء البيت » (٩) • ولعل هبوط الزوجة التى لها ولد يدرس الدكتوراه فى الخارج على الدرابزين يدل دلالة واضحة على سذاجة الكاتب ورومانسيته بل ان مجدى يهبط على الدرابزين أيضا للسبب نفسه الذى استخف الزوجين وهو قرب زواجه من نادية •

وتكون الأسطورة التى يقول مجدى انه ألفها يصور بها مشاعره الدفينة تجاه نادية ، من تأليف الكاتب ، برغم زعمه أن مجدى أديب • ويركز المؤلف على الشمعة التى يراها الأب فى الملهى الليلى محاولا بذلك أن يجسد مشاعر أو يرمز الى وضع الأب ، وأنه كالشمعة يحترق فى سبيل أولاده •

وتلعب بعض المصادفات دورا هاما فى سير الأحداث ، وتحديد مصائر الشخصيات ، فلقاء شوقى وعفاف يتم صدفة ، ولقاء محمد لايمان كذلك ، وتتم وفاة عماد فجأة وبطريق الصدفة ، ولكن المصادفات ليست كثيرة بالرواية •

---

(٨) المرجع نفسه ، ص ١٨٦

(٩) نفسه ، ص ١٨٧